
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

أبو الحسين النوري الصوفي

سيرته وشعره

(ت ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م)

أ . د . كامل مصطفى الشيبي
الاستاذ المتمرس في جامعة بغداد

أولاً : أبو الحسين النُّوري صوفياً :

١ ـ كان أبو الحسين أحمد بن محمد النُّوري البَغوي البغدادي من الطبقة (الجيل) الثانية من الصوفية ومن زملاء الجنيد البغدادي (ت ٢٩٨ هـ / ٩١١ م) والحلّاج (ت ٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م) وأبي بكر الشبلي (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م) . وقد جاءت هذه الطبقة بعد معروف الكرخي (ت ٢٠٠ هـ / ٨١٦ م) والسريّ بن المُغَلّس السَّقطي (ت ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م) والحارث بن اسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ / ٨٥٦ م) وغيرهم ممن وضعوا اسس التصوف الاصطلاحي وقواعده وآدابه وتقاليده ، وشكّلوا ملامحه بوصفه ثقافة روحية جامعة تعني التصفية الروحية المنهجية لتنطلق الى المثل الاعلى ، وتنادي بفلسفة تطبيقية متكاملة لها طابعها الخاص وتوجهاتها الاخلاقية والاجتماعية ، ولها كلامها ومعاملاتها وتربيتها ومعرفتها وكل ما يميز طائفة دينية فلسفية مثالية مستقلة ؛ ومن الطبيعي ان يكون لها ادبها الخاص من : شعر ونثر ورسائل خاصة تتصل بهذا المشرب من : غناء يسمى ذكراً ، ورقص يسمى وجداً ، ووعظ يسمى رقائق ، ولباس يسمى خرقةً مرقعة ، وشعار رأس يسمى تاجاً ، ورئيس يسمى شيخاً او قطباً ، وتلميذ يسمى مريداً ، واموال تسمى فتوحاً ، وهكذا .

٢ ـ لقد ظهر التصوف ، يوم ظهر ، في اواخر القرن الثاني الهجري [الثامن الميلادي] ، على صورة افكار غريبة غير مألوفة اثارت ريبة قادة الفكر الاسلامي التقليديين ، وحملتهم على نهي الناس عن مخالطة الصوفية ، كالذي وقع من الامام احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) في شان الحارث بن اسد المحاسبي ، السابق ، مع اعترافه بالاعجاب بكلامه ؛ وكان ذلك في نحو النصف الاول من القرن الثالث الهجري [التاسع الميلادي] . وبمضي العقود من السنين ، زادت الشبهة في الصوفية حتى وجدنا ذا النون المصري (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) يحاكم في بغداد بتهمة الزندقة ، وابا يزيد البسطامي (ت ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) ينفى من بلده سبع مرات لشطحه وشذوذ كلامه عن المالوف ، وابا سعيد الخراز (البغدادي) (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) يكفر لقوله في كتبه : « لو قلت : من اين ؟ والى اين ؟ لم يكن جوابي غير الله » . ثم وجدنا سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م) ، استاذ الحلاج الاول ، ينفى من بلده الى البصرة ، القريبة منها ، وينسب الى قبائح ويكفر لانه كان يقول : « التوبة فرض على العبد في كل نفس » . ولهذا كان الجنيد البغدادي ، الذي وصف عند الصوفية بسيد الطائفة « لا يتكلم في علم التوحيد [التصوف] الا في قعر بيته ، بعد ان يغلق أبواب داره وياخذ مفاتيحها تحت وَرِكِه ويقول : « أتحبون ان يكذب الناسُ اولياءَ الله وخاصته ويرموهم بالكفر والزندقة ؟ ! » ، وكل ذلك وارد في كتاب الطبقات الكبرى للشعراني (١ / ١٣) .

٣ ـ في هذا الجو عاش ابو الحسين النوري ، الذي ولد في بغداد ونشأ فيها ، وذكر السُّلمي (ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين الازدي النيسابوري ، ت ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م) ، مؤرخ الصوفية الكبير ، ان صوفينا كان يعرف بابن البغوي نسبةً الى بغ او بغشور ـ وهي قرية بين هراة ومرو الرُّوذ . اما « نور » التي يلقب بها ، فكانت بليدة في موضع ابعد الى الشرق بين بخارى وسمرقند . وقد اسقط السمعاني (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م) في كتابه : الانساب ، هذا الاتصال الجغرافي فذكر انه لقب بالنوري « لحسن وجهه » ولهذا ذكر المصنفون

انه كان يوصف بقمر الصوفية وامير القلوب .

مهما يكن الامر فقد عاش النوري في بغداد خائفاً وجلًا ، وكان مذهبه الحب الالهي المبالغ فيه ؛ وهي فكرة ظهرت ، اصطلاحياً ، في البصرة وعمت التصوف كله في العصور التالية .

ومن عبارات النوري في هذا المشرب :

أ ـ الوجد لهيب ينشأ في الاسرار (اعماق القلب) ويسنح عن الذوق فتضطرب الجوارح طرباً او حزناً عند ذلك الوارد ، كما في التعرف للكلاباذي (ص ٨٢) .

ب ـ بتجليه (تعالى) حسنت المحاسن ، وباستتاره قبحت وسمجت كما في اللمع للسراج (ص ٤٣٩) .

ج ـ وكان يستشهد ، في إشاراته بهذا البيت :

إذا أمُّ طِفْـــلٍ مَسّهـــا جـــوعُ طِفلِهـــا

غـــذّتـــه بـــإسم الطفـــل فـــاستعظم الطفـــلُ

(ايضا ص ٤٢٦)

د ـ وكان يقول : انا اعشق الله ويعشقني (!) . فلما اوخذ على كلامه شرحه بقوله : سمعت الله يقول : «يحبهم ويحبونه (اشارة الى قوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا ، من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين ، يجاهدونَ في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ..)(٥المائدة ٥٤) .

قال : وليس العشق باكثر من المحبة ، غير ان العاشق ممنوع ، والمحب يتمتع بحبه ، (اللمع ص ٤٩٢) . وهذا توجيه غير مألوف للفرق بين العشق والحب .

هـ ـ وقال يوماً :

كنت البارحة في بيتي مع الله ! فسئل عن ذلك فقال : وانا الساعة مع الله . واذا كنت في البيت فانا مع الله . واذا كنت في برية فانا مع الله . ومن كان في الدنيا مع الله ، فهو في الاخرة مع الله ؛ اليس يقول ـ جل ذكره : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد؟ (٥٠ ق ١٦) كما في اللمع ايضاً (ص ٤٩٣) .

و ـ وقال : ان الحق ـ اذا ظهر ـ تلاشى كلُّ ما حُجب وسُتر كما في طبقات الصوفية للسلمي (ص ١٦٧) .

ز ـ وقال : ان لله عباداً يسمعون بالله ، ويصدرون بالله ، ويردون بالله ، ويأكلون بالله ويلبسون بالله ... » كما في حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني ، (١٠ / ٢٥١) .

ح ـ وسئل عن الرضا (القناعة السعيدة) ، فقال : « لو كنت في الدرك الاسفل من النار لكنت ارضى (اسعد) ممن هو في الفردوس » كما في صفة الصفوة لابن الجوزي ، (٢ / ٢٤٨) .

٤ ـ ولم يكن في إستطاعة الصوفي ان يبلغ هذا المبلغ ، من القدرة على الافصاح عن مشاعره ، قبل ان يجتاز مراحل من الرياضات النفسية والمعاينات الجسدية يعيد اثناءها بناء نفسه بناءً جديداً بترويضها على التطبع بعبادات شاقة تجعل منه إنساناً آخر ؛ وتسمى هذه الرياضات عند الصوفية بالمقامات بمعنى المراحل التربوية ـ على ان تكون بإشراف شيخ يكون له الامر والنهي على المريد الى حد عده « كالميت في يد الغاسل « .

وهذه المقامات الروحية او المراحل التربوية هي ، على العموم : التوبة ، ثم الزهد ، ثم الصبر ، ثم الفقر ، ثم التواضع ، ثم الخوف ، ثم التقوى ، ثم الاخلاص ، ثم الشكر ، ثم التوكل ثم الرضا ، ثم اليقين كما في التعرف للكلاباذي (ص ٦٤) .

على ان للصوفية طريقاً آخر للوصول الى التصفية الروحية المطلوبة وهي ، فيما اورد ابو طالب المكي في كتابه قوت القلوب (٢ / ٦٥) : مقام التوبة ، ثم مقام الصبر ، ثم مقام الشكر ، ثم مقام الرجاء ، ثم مقام الخوف ، ثم مقام الزهد ، ثم مقام التوكل ، ثم مقام الرضا ، ثم مقام المحبة . وعقب ابو طالب على هذه السلسلة ، من مراحل التصفية ، بقوله : « وهذه محبة الخصوص ، وهي محبة المحبوب » اي المحبة المتبادلة بين العبد والرب التي وصفها ابو الحسين النوري ومارسها وقال فيها :

« من وصل الى وُدّه أنسَ بقربه ؛ ومن وصل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد » كما في حلية الاولياء للاصفهاني (١٠ / ٢٥١) .

٥ ـ وواضح ان ابا الحسين النوري كان في كل هذا صريحاً كل الصراحة لقوله : « المحبة هتكُ الاستار وكشفُ الاسرار » ؛ ومن هنا قُبض عليه وعلى أصحابه بوشاية صوفي اتهمهم بقوله : « هؤلاء زنادقة ودمهم في عنقي » كما في اللمع للسراج (ص ٤٩٩) ، فادخلوا على الخليفة فامر بضرب اعناقهم . فتقدم النوري مبتدراً الى السياف ليضرب عنقه « اولًا » . فقال له السياف : ما دعاك إلى الابتدار إلى القتل من بين اصحابك ؟ فقال : آثرت حياتهم على حياتي هذه اللحظة . فتوقف السياف والحاضرون عن قتله ، ورفع أمرهم الى الخليفة ، فرد أمرهم إلى قاضي القضاة ـ وكان يلي القضاء يومئذ اسماعيل بن إسحق [الجهضمي ، المالكي ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٦ م] كما في الحلية (١٠ / ٢٥٠) .

وبعد الاستجواب « بكى (القاضي) طويلًا ، ثم دخل على الخليفة فقال : إن كان هؤلاء زنادقة ، فليس على الارض موحد ؛ فامر بتخليتهم » .

من هنا يمكن ان نصف النوري بكونه فدائي الصوفية .

واما الخليفة المشار اليه فلعله كان المعتمد على الله (ابا جعفر احمد بن جعفر المتوكل الذي استخلف بين سنتي ٢٥٦ و ٢٧٩ هـ [٨٦٩ و ٨٩٢ م] .

٦ ـ وبعد ، فقد اخذ النوري عن السري بن المُفلّس السَّقَطي استاذ الجنيد البغدادي وخاله ، وأخذ عنه كثير من زعماء التصوف ، منهم : أبو بكر الواسطي وأبو علي الروذباري ، الذي سكن مصر ، وأبو سعيد الاعرابي ، من قدماء كتاب السير الصوفية ، وأبو عمرو الزجاجي ، وجعفر بن محمد بن نصير ، صاحب كتاب حكايات الصوفية ، وغيرهم كما في الرسالة القسيرية (ص ١٥١ ـ ١٦٧) .

لقد عانى النوري النفي الى الشام ، بعد حادثة المحاكمة ، نحو ربع قرن وعاد الى بغداد بعد زوال المحنة ، فوجد كل شيء قد تغير ، وزميله الجنيد قد تزعم الصوفية وصار إمامهم فكانت بينهما خصومة شديدة كان سببها ميل الجنيد الى الاعتدال والمسالمة والتقية .

ولما مات النوري سنة ٢٩٥ هـ/ ٩٠٨ م ، قال الجنيد فيه : « ذهب نصف العلم بموت النوري » كما في نفحات الانس للجامي ، (ص ٨٠) .

وترك النوري رسالتين صغيرتين تحتفظ بهما مكتبة الاوقاف ببغداد ، وشعراً جمعناه له ، وعبارات في تفسير القرآن جمعها له ابو عبد الرحمن السُلمي في كتابه المخطوط : حقائق التفسير ، ومنشورات حققها بول نويه اللبناني وزميلنا د. قاسم السامرائي .

٧ ـ من أقوال النوري الجميلة :

أ ـ نظرت يوماً الى النور ؛ فلم ازل انظر اليه حتى صرت ذلك النور . ومن يدري فربما لقب صوفينا بالنوري لتكراره كلمة النور في كلامه ولهجه بها كالحلى مع المحاسبي الذي لقب بهذا اللقب لولعه بالمحاسبة وتمذهبه بها .

ب ـ أعز الاشياء في زماننا شيئان :
عالم يعمل بعلمه ، وعارف ينطق عن حقيقته .

ج ـ هذا زمان ، المعروف فيه زلل ، والصواب فيه خطأ ، والوداد فيه دَخَل [الغدر والمكر والخديعة] .

د ـ قيل له : ما العقل ؟ قال : عاجز لا يهدي العاجزين .

هـ ـ واستحسن قول شيخ ضُرب الف سوطٍ فلم يتوجع : « يا أخي ، إنما يحمل البلاء الهمم لا الاجسام » .

و ـ للنوري ، بعد هذا كله ، قبر في بغداد يقوم في السوق المقابل لمسجد ابي حنيفة النعمان (ت ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م) ، وتقوم عليه الان زاوية من زوايا الطريقة الكسنزانية القادرية .

هذا هو النوري صوفياً ، فلننظر اليه الان شاعراً .

ثانياً ـ ابو الحسين النوري شاعراً :

أ ـ تمهيد : في ابحاث سبقت لنا رجحنا ان قرض الشعر لم يكن قديماً في التصوف وان ما نسب الى رابعة العدوية (ت ١٦١ هـ/ ٨٠١ م) المعاصرة لسفيان الثوري الزاهد الكوفي المحدث الفقيه (ت ١٦١ هـ/ ٧٧٨ م) لا يثبت للحجة والبرهان كما احتججنا لذلك في كتابنا : الصلة بين التصوف والتشيع (ط ٣ ، دار الاندلس ، بيروت ١٩٨٢ ، ١/ ٣٢١ ـ ٣٢٤) .

وذكرنا هناك ، وفي غيره من ابحاث لنا ، ان ما نسب لرابعة من الاشعار لا تثبت للواقع ؛ فالابيات التي تقول :

أحبُـــك حُبَين : حُبُ الهـــوى
وحُبــاً لانــك أهـــل لـــذاكـــا
فــامـــا الـــذي هـــو حُبُ الهـوى
فــذكــر شُغلت بـــه عن ســـواكـــا
وامـــا الـــذي انت اهـــل لـــه
فكشفـــك للحجب حتى اراكـــا
فمـــا الحمـــد في ذا ولاذاك لي
ولكن لـــك الحمد في ذا وذاكـــا

مصنوعة ، في راينا ، بيد اديب خبير في التزوير على غرار مقطعة لآدم بن عبد العزيز الاموي [ت ١٤١ هـ/ ٧٥٨ م] الذي اتهم بالزندقة وجلد على معاقرة الخمر ، وهي قوله :

احبـــك حبين : لي واحـــد
وآخـــر انـــك أهـــل لـــذاك
فـــامـــا الـــذي هـــو حب الطبـــاع
فشيء خصصت بـــه من ســـواكِ
وامـــا الـــذي هـــو حبِ الجمـــال
فلست أرى ذاك حتى أراكِ
ولست أمُنُّ بهـــذا عليـــك
لـــك المن في ذا وهـــذا وذاك

كما في كتاب الإغاني لابي الفرج الاصفهاني ، وقد نقلنا كافات الروي من الفتح الى الكسر لمناسبة الحال ، وكذلك الحال في البيتين :

اني جعلتـــك في الفـــؤاد محـــدثي
وابحت جسمي من اراد جلـــوسي
فـــالجسم مني للجليس مـــؤانس
وحبيب قلبي في الفـــؤاد انيسي

اذ ينسبان الى رابعة اخرى توفيت سنة ٢٣٠ هـ/ ٨٤٥ م ، واصلهما ـ فيما نرى ـ يمتد الى قول مجنون بني عامر :

وشغلت عن فهم الحـــديث ســـوى
مـــا كـــان منـــك وحبكم شغلي
وأديم نحـــو محـــدثي نظـــري
ان : قـــد فهمت وعنـــدكم عقلي

ونسب الى رابعة هذان البيتان :

قـــد تخللتَ مسلـــك الـــروح مني
ولـــذا سمي الخليـــل خليـــلا
فـــإذا مـــا نطقت كنت حـــديثي
واذا مـــا سكت كنت الغليـــلا

وقد نسبهما المصنفون الى ابي بكر الشبلي ، وقد ضمناهما ديوانه الذي نشرناه سنة ١٩٦٧ . ويلاحظ اصحاب النظر في الفكر الصوفي تكرر مشتقات الخُلّة [الصداقة الحميمة] في البيت الاول ، وهي من مصطلحات الصوفية التي ظهرت عند نضج التصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين [التاسع والعاشر الميلاديين] .

ومما يُمِدُّ هذه الفكرة ان معروفاً الكرخي ، وهو اول صوفي اصطلاحي في تاريخ التصوف ـ وقد توفي سنة ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م ـ لم يؤثر عنه نظم ، وانما كان يتمثل به كما ذكر ذلك عبد الرحمن بن الجوزي الواعظ البغدادي الخبير بالتصوف والصوفية (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠١ م) في كتابه مناقب معروف الكرخي الذي

حققه الدكتور عبد الله الجبوري (ط. بيروت، ١٩٨٥، ص ١٢٩ - ١٣٠).

وتبين لنا، بعد انعام النظر، ان اول شاعر في دنيا التصوف ربما كان ذا النون المصري (ثوبان بن ابراهيم الاخميمي، ت ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م) الذي وجدنا له مقاطيع كثيرة تصلح أن تتعلق بدفتي ديوان، ومنها قوله الذي وجدناه في صفة الصفوة لابن الجوزي (٤ / ٢٨٧):

اطلبوا لانفسكم
مثلما طلبت انا
قد وجدت لي سكناً
ليس في هواه عنا
ان بعدت قربني
او قربت منه دنا

وقوله:

عجباً لقلبك كيف لا يتصدع
ولركن جسمك كيف لا يتضعضع
فأكحل بملول السهاد لدى الدجى
إن كنت تفهم ما أقول وتسمع
منع القران، بوعده ووعيده،
مُقل العيون بليلها ما تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه
فهماً تذل له الرقاب وتخضع

كما في حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني (٩ / ٣٧٧).

وهذه المقطعة الاخيرة على اقصى درجة من الاهمية لانها تؤرخ لانتقال الصوفية من الاقتصار على تلاوة القرآن في مجالسهم واذكارهم الى التوسل بالشعر لإثارة مواجيدهم بعد ان مهد لهم ابو نواس (الحسن ابن هانىء / ١٩٨ هـ/ ٨١٤ م) وابو العتاهية (اسماعيل بن القاسم، ت ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م) السبيل بالزهديات الرائعة التي ملات الاسماع لايامهما.

ومما يقوي حجتنا، في ان ذا النون المصري كان الشاعر الصوفي الاول، انه كان المنظم الصوفي الاول ايضاً، او من قدمائهم، لانه « اول من تكلم بمصر في ترتيب الاحوال ومقامات اهل الولاية » كما في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢ / ٣٢١). اي ان تحول التصوف من مزاج فردي الى تنظيم تربوي ثقافي اجتماعي هو الذي احوج الى الشعر، ومن ثم كان ذو النون اول الناس واولاهم بامداد هذه المجالس بالنظم الذي كان ضربة لازب. وقد اشار النوري والجنيد وغيرهما الى هذه الحاجة في غير موضع من المصنفات التي تعرض للتصوف والصوفية.

لقد دخل الشعر مجالس الذكر والسماع الصوفية من خارج التصوف اولاً كما اشار الى ذلك السراج في اللمع (ص ٢٤٦، ٣٤٢ مثلاً) ثم سد الصوفية هذه الحاجة باشعارهم كما فيه ايضاً (ص ٣٤٣). ومن هذه اللطيفة الدقيقة ننفذ الى شعر النوري رحمه الله.

ب - شعر أبي الحسين النوري:

نفتتح القول على شعر النوري بالترنم بابياته السائرة التي تقول:

رُبَّ ورقاء هتوفٍ في الضُحى
ذاتِ شجوٍ صدحت في فنن
فبُكائي ربّما أرّقها
وبُكاها ربما ارقني
هي ان تشكو فما افهمها
واذا أشكو فما تفهمني
غير أنّي بالجوى اعرفها
وهي ايضاً بالجوى تعرفني
اتراها بالبكا مولعة
ام سقاها البين ما جرعني

كما في اللمع للسراج (ص ٣٧٩) وغيره كثير.

وهذه المقطعة تذكر بكثير من الاشعار التي طرقت هذا الموضوع قبلها وبعدها. واجمل ما ذكر قبلها قول ابي كبير الهذلي، الذي ادرك النبي (ص):

الا يا حمامَ الأيكِ، الفك حاضر
وغصنكَ ميّاد؛ ففيم تنوح؟
أفِقْ، لا تنح من غير بينٍ فإنني
بكيت زماناً - والفؤاد صحيح
ولوعاً؛ فشطت غربةً دارُ زينب
فها انا ابكي، والفؤاد قريح

كما في الامالي للقالي (١ / ١٣٣).

واجمل ما ذكر بعدها قول أبي فراس الحمداني (الحارث بن سعيد التغلبي، ت ٣٥٧ هـ/ ٩٦٨ م) في قصيدته السائرة:

اقول وقد ناحت بقربي حمامة
« ايا جارتا، لو تعلمين بحالي
ايا جارتا، ما انصف الدهر بيننا
تعالَيْ أُبادلْكِ الهموم تعالى »

الخ.

وقد غدت الحمامة رمزاً للروح منذ ايام المسيحية الاولى، بل قبل ذلك في اسطورة سمير أميس البابلية، واستمرت على هذه الحال في الايام الاسلامية ودخلت التصوف وبنت عشها فيه؛ حتى وجدنا ابن سينا والسهروردي المقتول وابن عربي وغيرهم يوظفون هذا الرمز لاغراض التصوف والفلسفة. وروي عن ابي الحسين نفسه، لمناسبة إنشاده هذه الابيات، ان الجنيد البغدادي سأله لدى اجتماعهما في سماع: ما مقامك في السماع؟ [بمعنى: ما مدى تجاوبك في جوه، واحساسك بالاشعار التي تلقى فيه]، فقال ابو الحسين النوري: « الرمز اليه بالاشارة دون الافصاح، والكناية دون الايضاح ثم وثب وصفق بيديه فانشأ يقول » الابيات كما في اللمع للسراج (ص ٣٧٩).

ولعل من افصح الشهادات على جمال هذه المقطعة ادعاء المرحوم الأستاذ علي الجارم، الشاعر المعروف والامين العام الاسبق لمجمع اللغة العربية في القاهرة، هذه الابيات لنفسه بنقل المرحوم الدكتور زكي مبارك في كتابه: مدامع العشاق (ط مصر ١٩٣٣، ص ٣٧ - ٣٨).

ولا يسمح المقام بالوقوف كثيراً على اول شاهد من اشعار ابي الحسين النوري؛ غير انه بدا واضحاً الطابع الرمزي للمعاني الصوفية وتوجهه الى التجريد والسمو به الى المعاني الروحية والتطلع الى المثل الاعلى، ومنه قوله:

كفى حـزنـاً أني أنـاديـك دائبـاً
كـأني بعيـد او كـأنـك غـائب
واسـال منـك الفضل من غيـر رغبـة
فلم أر مثلي زاهـداً وهـو راغب

وقوله:

لعمـريَ، مـا استـودعت سـري وسـرهـا
سـوانـا، حـذاراً ان تشيـع السـرائـرُ
ولا لاحظتْهـا مقلتـاي بلحظـة
فتشهـد نجـوانـا العيـونُ النـواظـر
ولكن جعلت الـوهم بيني وبينهـا
رسـولًا فـأدى مـا تكن الضمـائـر
اصـون الهـوى بقيـا عليهـا من العـدا
مخـافـة ان يغـرى بـذكـراك ذاكـر

وقد ذكر السراج ان هذه المقطعة كانت رسالة بعث بها النوري الى صديقه ابي سعيد الخراز البغدادي (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)، ولعل ذلك كان من الشام حيث كان النوري يعاني النفي والبعد عن الاوطان بسبب المحنة التي اشرنا اليها وكادت توره موارد الهلكة. وقد علق السراج على هذا الشعر بقوله: « وفيه إشارات غريبة ومعانٍ عجيبة يشير بها الى سره، الذي هو مخصوص به، وينطق عن وجده الذي لا يضيف ذلك الى صفته، ولا ينسبه الى مكان ليس ذلك من نعته (اللمع ص ٣١٤).

ومن اجمل ما نظم ابو الحسين النوري هذه المناجاة الجميلة التي يقول فيها:

اشـار قلبي اليـك كيمـا
يـرى الـذي لا تـراه عيني
وانت تلقي على ضميـري
حـلاوة السُّـؤل والتمني
تـريـد مني اختبـار سـري
وقـد علمت المـراد مني
وليس لي في سـواك حظ
فكيف مـا شئت فـامتحني

وقد علق صفاء الدين البندنيجي (العراقي) (ت ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م) في كتابه المخطوط: « جامع الانوار في مناقب الاخيار » الذي تحتفظ به مكتبة المتحف العراقي في بغداد، على هذه المقطعة ناقلًا في ايضاحها قول ابي الحسين النوري نفسه: « اذا امتزجت نار التعظيم مع نور الهيبة في السر، هاجت ريح المحبة من حجب العطف على النار والنور؛ فيظهر فيه الاشتياق وتتلاشى البشرية، فتتولد من ذلك المشاهدة » (ص ٤٠٤).

ومن هذا القبيل قول ابي الحسين، متوجهاً الى المثل الاعلى في رضا وسعادة وطمانينة واستسلام مطلق:

وكم رُمتُ امـراً خِـرت لي في انصرافـه
فـلازلت بي مني أبـرَّ وأرحمـا
عـزمت على الا احس بخـاطـر
على القلب الا كنت انت المقـدمـا
وألّا تـراني عنـد مـا قـد كـرهتـه
لكـونـك في قلبي كبيـراً معظمـا

ومثل هذا المعنى، جرى في الابيات التالية التي يقولها النوري بطريق اخر:

ينـاجيـك سـرٌ قـام في القلب قـائمُه
على قـوت قلب فيـك ضلت عـزائمـه
اذا رمت عقـد الشيء مني حللتـه
وتعقـد مـا قـد حـل سـري فتبـرمـه
فكيف احتيـالي بـالـذي انـا طـالب
اذا كنت خصمـاً بـالـذي انت حـاكمـه

ولا يعد الشعر الصوفي صوفياً - وبخاصة اذا صدر من رجل كأبي الحسين النوري - الا اذا ترصع او تلألأ بالمصطلحات التي يتداولها القوم ومنه قوله:

اراني جمعي من فنـائي تقـريبـاً
وهيهـات - الا منـك - عنـك التقـرّبُ
فمـا عنـك لي صبـر ولا فيـك حيلـة
ولا منـك لي بـد ولا عنـك مهـرب
تقـرب قـوم بـالـرجـا فـوصلتهم
فمـا لي بعيـداً منـك - والكـل يعطب

فالجمع والفناء والتعرب والرجاء، كلها مصطلحات صوفية. وجاءت مصطلحات اخرى في قوله:

اريـد دوام الـذكـر، من فـرط حبـه
فيـا عجباً من غيبـة الـذكـر في الـوجـد
وأعجبُ منـه غيبـة الـوجـد تـارة
وغيبـة عين الـذكـر في القـرب والبعـد

وهي: الذكر، وغيبة الذكر، والوجد، والقرب، والبعد. ولا داعي للمزيد من الشواهد، اذ الامر طبيعي لا يختلف فيه اثنان، كما لعلنا توصلنا اليه قبل والساعة.

ووجدنا في شعر ابي الحسين النوري مظهرين ثابتين يردان في الشعر الصوفي القديم على الخصوص هما :

اولًا : تكرار الكلمات التي تعتمل معانيها في نفس الصوفي ، وتلح على وجدانه ، من نحو قوله (مثلًا) :

شهـدتُ ولم اشهد لحـاظـاً لحظته
وحسب لحـاظ شـاهـد غيـر مشهـد
وغبت مغيبـاً غـاب للغيب غيبـه
فـلاح ظهـوراً غيبـه غيـر مفقـد

ومعنى البيتين لمن يطلبه : « اني نظرت بعيني الجسدية فلم ار مطلوبي لانها عاجزة عن النفوذ الى حقيقة الاشياء . فلما غبت عن الحس المادي ونظرت متأملًا ببصيرتي الداخلية الروحانية تبين لي ما غاب عن بصري في وضوح وجلاء دون ان ينقص منه شيء » .

ومن هذا القبيل قوله ايضاً :

ذكـرت ولم اذكـر حقيقـة ذكـره
ولكن بـداوي الحق تبـدو فـانطق
اذا مـا بـدا ذكـر لـذكـر ذكـرتـه
يغيبني عن ذكـر ذكري فـاغـرق
واغـرق بـالـذكـر الـذي قـد ذكـرتـه
عن الـذكـر بـالـذكـر الـذي هـو اسبق

ونزيد قوله في الالحاح على كلمتين قريبتين في اللفظ هما السر والسرور :

كـادت سـرائـر سـري ان تُسَـر بمـا
اوليتني من سـرور لا اسميـه
مصـاح للسـر سـر منـك يـرقبـه
كيف السـرور بسـر دون مبـديـه ؟
فظـل يلحظـه سـري لالُحظـه
والحقُّ يلحظني الا اخليـه
واقبـل الـوجـدُ يُفني الكـل من صَفتي
واقبـل الحق يخفيني وأبـديـه

واما الخصيصة الثانية للشعر الصوفي الاصطلاحي فتكرار حروف الجر بياناً للجهات التي يتوجه الصوفي اليها من العالم الروحي ، او تتوجه اليه ؛ فكانها اشعة تعشي البصر وتضيء البصيرة ؛ ومن نماذج هذه الظاهرة قول النوري ، السابق ، ذكره :

اراني جمعي من فنـائي تقـربـاً
وهيهـات الا منـك عنـك التقـرب
فمـا عنـك لي صبـر ولا فيـك حيلـة
ولا منـك لي بـد ولا عنـك مهـرب

ففي هذين البيتين اثنا عشر موضعاً ملاتها حروف الجر في هذه المقطعة الصغيرة . واذا علمنا ان تكرار الالفاظ والالحاح على حروف الجر يقدحان في الشعر التقليدي وشعرائه ، كما في سر الفصاحة للخفاجي (ت ٤٦٦ هـ / ١٠٥٤ م) (ص ٩٤ - ٩٨ مثلًا) ادركنا الفرق بين الشعر الصوفي والشعر التقليدي وتبينا مدى انسياق الصوفية مع طبيعتهم الروحانية واستجابتهم لاحوالهم النفسية في التعبير عن خوالجهم ومواجيدهم ؛ ومن هنا كان الشعر الصوفي ، عندنا على الاقل ، أصدق الاشعار - وان لم يكن افصحها ولا ابلغها .

على اننا ينبغي الا نعمم هذه الظاهرة على الشعر الصوفي كله ، حتى عند شاعر معين ؛ وانما تفرض هذه الظاهرة نفسها في الاحوال التي لا يجد الصوفي الشاعر محيصاً عن الوقوع تحت وثلها ولا يستطيع منها خلاصاً بل يسعد بها ويهش لها وكانه ارتاح من حمل ثقيل او قبضة تكتم الانفاس .

ويطيب لنا ان نضمخ هذه الاسطر باشعار فيها البسط والروح والانشراح من نظم ابي الحسين النوري ؛ فمنها قوله ، في نفي الخوف عنه عند التوجه الى المثل الاعلى :

إني اتقيتـك لامهـا
بـةً من محـاذرة الضميـر
أنّى وكيف ، وانت لي
إلف يفـرق مـدى السميـر
تُـوفي السـرائـرَ مسـرهـا
وتحـوط مكنـون الضميـر
لكن أجلُّـك ان اجـل
سـواك للخطـر الحقيـر

ومنها قوله :

ان كنت للسقم اهـلًا
وكنت للشكـر اهـلا
عِـذْبَ فلم يبق قلب
يقـول للسُقْم : مهـلا

وسأل انسان النوري : ايها الشيخ ، غدا العيد ، ماذا انت لابسه ؟ فانشا يقول :

قـالـوا : غـدا العيـد ، مـاذا انت لابسـه
فقلت : خلعـة سـاق عبـدَه جُـزعـا
فقـر وصبـر همـا ثـوبـاي ، تحتهمـا
قلب يـرى الفـه الاعيـاد والجمعـا
اهـرى المـلابس ان تلقي الحبيب بهـا ،
يـوم التـزاور في الثـوب الـذي خلعـا
الـدهـرُ لي مـاتم ان غبت ، يـا املي
والعيـد مـا دمت لي مـرأى ومستمعـا

رحم الله ابا الحسين احمد بن محمد البغوي البغدادي فقد كان صادقاً في قوله وفعله ومشاعره وافكاره مؤمناً حق الايمان بما يعتقد بلغه الله مناه وارضاه بما ارضاه .


دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

شعر

ابي الحسين النوري

ت ٢٩٥ هـ - ٩٠٨ م

(١)

يـــا من تشاهـدهُ عيني فـاحسبـه
منـي قـــريبـاً ، وقـد عزت مطـالبه

(٢)

الى الله اشكو طول شوقي وحيرتي
ووجـــدى بما طـالت عليّ مطـالبـه
ومن قد برى جسمي وكدّر عيشتي
ويمنعني المــاء الذي انـا شـاربـه
اذا سُمتُ نفسي سلـوة عنـه ردني
اليـــه شهـود ليس تفنى عجـائبـه
فياليت شعري : ما الذي فيه راحتي
وما آخر الامر الذي انـــا طالبـه ؟

(٣)

كفى حـــزنـــاً انى أنـاديك دائبـاً
كـــانى بعيـــد او كـــانـــك غـــائب
واسأل منك الفضـــل من غير رغبـة
فلم ارَ مثلي زاهـــداً وهـو راغب

(٤)

اراني جمعي من فنـــائي تقـــريـــاً
وهيهـــات ، الا منك ، عنـك التقـرب
فمـــا عنك لي صبـر ولا فيك حيلـة
ولا منـــك لي بُـدُّ ولا عنـك مهـربُ
تقــــرب قــوم بـــالـــرجـــا فـــوصلتهم
فمـــا لي بعيداً منـك والكُلُ يعطب

(٥)

اقول : أكاد اليـــوم ان ابلغ المـدى
فيبعـــد عني مـــا اقـــول « اكـــاد »
فمـا لي جهـاد ؛ غيـــر انى مقصـر
وعجـــزي عن طول الجهـاد جهـاد
وان رجـــائي عودة منـك بـالـرضـا
والا فحظي في المعـــاد بعــــاد

(٦)

شهـــدت ولم اشهد لحِـاظـاً لَحَظْتُـه
وحسب لحـــاظِ شاهـد غيـر مشهـد
وغبتُ مغيبـــاً غـــاب للغيب غيبــه
فـلاح ظهـور غيبـــــه غيـرُ مفقـد

(٧)

اريـد دوام الـذكـر من فـرط حبـه
فيا عجباً من غيبةِ الذكر في الوجد
واعجبُ منـــه غيبـةُ الـوجـدِ تـــارةً
وغيبة عين الذكر في القرب والبُعْد

(٨)

تستـــرتُ عن دهري بستـــر همـومـه
محيرة في قدر من جل عن قدري
فـــلا الدهـر يدري أنني عنـه غائب
ولا انـــا أدري بالخطـوبِ اذا تجري
إذا كـــان كُلي واقفـــاً بـــوفـــائـــه
فلستُ ابالي ، ما حييت ، يدَ الدهر

(٩)

تـــامل بعينِ الحقِ ان كُنتَ نـــاظـراً
الى صفـــةٍ فيهـا بـدائـِعُ فـــاخـــرِ
ولا تُعطِ حظَ النَفْسِ منها لما بهـــا
وكُنْ نـــاظِـراً بـــالحِق قـدرة قـــادر

(١٠)

ســـاشكـــر لا اني أجـــازيك منعمـاً
بشكري ، ولكن كي يقال لـــه الشكر
واذكـــر أيـــاً من لــديك وحُسْنَهـا
وآخرُ ما يبقى على الشـاكر الـذكر

(١١)

إني اتقيتـــــك لا مهـــــــــاد
ة من محـــــاذرة المصيـــــــر
أنى وكيف وانت لي
إلف يفـــوق مـــدى السميـــر ؟!

تـوفي السـرائـر سـرهـا
وتحـوط مكنـون الضميـر
لكن اجلُـك ان اجـا
ل سـواك للخَطَـرِ الحقيـر

(١٢)

اذا استتـر الحق عن أحـدٍ
لم يهـده استـدلال ولا خبـر

(١٣)

ان الـرضى لمرارات نُجـرّعُهـا
عنـد القنوع اذا ما استعذب الكـدر
عواقب اشهدت بعض الحضور، فما
يـرعى التكثـر الا نـاقـة نـزر

(١٤)

اذا كنت فيما لست بالوصف فانيـاً
وقوفك في الاوصاف عندي تحير

(١٥)

قالوا: غدا العيد، ماذا انت لابسه
فقلت: خلعـة ساق عبده جـرعـا
فقـر وصبر همـا ثوبـاتي، تحتهما
قلب يـرى ربه الاعيـاد والجمعـا
احرى الملابس ان تلقى الحبيب بها
يوم التزاور في الثوب الذي خلعـا
الـدهر لي مـاتم ان غبت يـا املي
والعيد ما دمت لي مـرأى ومستمعا

(١٦)

جـوع وعـري وحفـا
ومـاء وجـه قـد عفـا
وليس لـلانفس (ان)
تخبـر عمـا قـد خفـا
قـد كنت ابكي طـربـاً
فصـرت ابكي اسفـا

(١٧)

ذكـرت ولم اذكـر حقيقـة ذكـره
ولكن بـداوي الحق تبـدو فـانطق
اذا مـا بـدا ذكـر لـذكـر ذكرتـه
يغيبني عن ذكـر ذكـري فـاغـرقُ
واغـرق بالـذكر الـذي قـد ذكرتـه
عن الذكر بالذكر الذي هو اسبق

(١٨)

الـذكـر يقطعني والـوجـد يطلعني
والحق يمنـع عن هـذا وعن ذاك
فـلا وجـود ولا سـرٌ اسـر بـه
حسبي فـؤادي اذا ناديت لبـاك

(١٩)

كم حسـرةٍ لي قد غصت مـرارتُهـا
جعلت قلبي لهـا وقفـاً لبلـواكـا
وحق مـا منـك يبليني ويتلفني
لابكينـك او أحظى بلقيـاكـا

(٢٠)

ان كنت للسُقم اهـلًا
وكنت للشكـر أهـلًا
عـذب؛ فلم يبق قلب
يقـول للسقم: مهـلًا

(٢١)

أزعجتني عن نعوت الحال بـالحالِ
فكيف ينعت من لا قـال بـالقـال
مـا كـلُ من يـدعي حـالًا تصـدقـه
حتى يترجم عنه صاحب الحالِ

(٢٢)

أنعى إليـكَ إشارات القلـوب معـاً
لم يبقَ منهن إلّا دارسُ العلمِ
أنعى اليـك قلـوبـاً طـالمـا هطلت
سحـائب الجود منهـا أبحـر الحكم
أنعى إليـك نفوسـاً طاح شـاهدهـا
فيما ورا الحيث بل في شاهد القدم
أنعى إليـك لسـان الحق مـذ زمن
أودى وتـذكاره في الـوهم كالعـدم
أنعى إليـك بيـانـاً تستكين لـه
أسمـاع كـل فصيـح مِقْـول فَهِمِ
أنعى-وحقـك- أخـلاقـاً لطـائفـة
كـانت مطـايـاهم من مكمن الكظم
مضى الجميـع فـلا عين ولا أثـر
مضيَ عـادٍ وفقدان الالى إرم

(٢٣)

وكم رمت امرأ خرت لي في انصرافه
فـلازلت بي مني ابـر وارحمـا

عــزمت على الا احسن بخــاطــر
على القلب الا كنت انت المقــدمــا
والا تــراني عنـد مــا قــد كــرهتـه
لكــونك في قلبي كبيـراً معظمـا

(٢٤)

يناجيك ســر قام في القلب قـائمه
على فــوت قلب فيك ضلت عـزائمه
اذا رمت عقـد الشيء مني حللتـه
وتعقـد ما قـد حل سـري فتبرمـه
فكيف احتيــالى بالــذي انـا طــالب
اذا كنت خصماً بالذي انت حاكمه

(٢٥)

كمــــا تـــرى صيـــرني
أقطــــع قفـــر الــــدمن
شــــــرقني غـــــربني
أزعجني عن وطني
إذا تغيبت بــــدا
وان بـــــدا غيبني
واصلني حتى اذا
واصلتــــــه فــــــاصلني
وقــــال: لا تشهـــد مـــا
تشهــــــد او تشهــــدني

(٢٦)

اشــــار قلبي اليـــك كيمـــا
يـــرى الــذي لا تـــراه عيني
وانت تلقي على ضميــــري
حــلاوة الســـؤل والتمني
تــريــد مني اختبــار ســري
وقـــد علمت المـــراد مني
وليس لي في ســـواك حظ
فكيفمـــا شئت فـــامتحني

(٢٧)

ليس عيـد المحب قصـد المصلى
وانتظــار الجيــوش والاعــوان
إنمـا العيد ان تكــون لـدى الحـ
ـب كـريماً مقربـاً في الامـان

(٢٨)

لعمــري ما استودعت سـري وسـرهـا
سـوانا حـذاراً ان تشيع السـرائر
ولا لاحظتهـــا مقلتـــاي بلحظــة
فتشهـد نجـوانا العيـون النـواظـر
ولكن جعلت الــوهم بيني وبينهـا
رســولاً فـادى مـا تكنّ الضمـائـر
اصول الهوى بقيا عليها من العدا
مخــافة ان يغـرى بذكـراه ذاكـر

(٢٩)

يـنـاجيـك سر سـائـل عن ثـلاثـة
ســرائـرهم كتم واعــلانهم ستـر
فتى ضــاع كتم السر بين ضلـوعـه
عن ادراكـه حتى كـان لم يكن سـر
فــاسبـل استـار التخفـر صـائنـاً
لكـل حـديث ان يكـون هـو السـر
فكتّــام ســر مـدرك الكتم لم ينـل
سوى حد كتم السر من ظنه ذكـر
فكــاتمــه المكنــون ثم تكــاتمت
جـوانحـه ، فـالكُـلّ من بثّـه صفـر
صنين بمــا يهـواه مـا لاح لائـح
يقـاريـه الا احتمى صـوبهـا الفكـر
ومكتم وافى الضمــائــر وامتطى
لمـودعـه جحــدا وليس بـه غــدر
لأمّهم تــاج الفخــار ذكــرتـــه
ومن شربه في حاله المنهل الغمر

(٣٠)

كــادت سرائـر سري ان تسـر بمـا
اوليتني من ســرور لا اسميـــه
فصـــاح للسـر سـر منـك يـرقبـه
كيف الســروربسـر دون مبـديـه
فظــل يلحظــه ســراً ليلحظـه
والحق يلحظني الا اراعيـــــه
واقبـل السـر يفني الكـــل عن صفتي
واقبــل الحق يغنيني ويفنيــه

(٣١)

رب ورقـــــاء هتــوفٍ في الضحى
ذات شجـــو صـــدحت في فنن
ذكـــرت إلفــاً ودهـراً صـالحـاً
فبكت حــزنــاً وهــاجت حــزني
فبكـــائي ربمـــا ارقهـــا
وبكـــاهـا ربمـــا ارقني
ولقـــد تشكـــو فمـا افهمهـا
ولقـــد اشكـــو فمـــا تفهمني

غيـر انـي بـالجـوى اعـرفـهـا
وهي ايضـا بـالجـوى تعـرفني
اتـراهـا بـالبكـا مـولعـة
ام سقـاهـا البين مـا جـرعني [٣١]

(٣٢)

كمـا تـرى صيـرني
اقطـع قفـر الـدمن
شـرقني غـربني
ازعجني عن وطني
اذا تغيبت بـدا
وان بـدا غيبني
واصلني حتى اذا
واصلتـه فـاصلني
وقـال : لا تشهـد مـا
تشهـد او تشهـدني



المصادر

(١) المصدر :

التعرف لمذهب اهل التصوف للكلاباذي (ابي بكر محمد بن اسحق البخاري ، ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م) تحقيق آرثر جول آربري ، ط مصر ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م ص ٧٨ اول بيتين ، مصباح الهداية ومفتاح الكفاية للكاشاني (عز الدين محمود بن علي ، ت ٧٣٥ هـ/ ١٣٣٥ م) تحقيق جلال الدين همائي ، طهران ١٣٢٣ هـ/ ١٩٤٤ م ص ٤١٢ .

التحقيق :

أ . ورد هذا البيت في التعرف اول ثانٍ نصه :

اذا سمت نفس سلـوة عنـه ردني
اليـه شهـود ليس تفنى عجـائبـه

وواضح انه أجنبي عنه في الوزن والروي ففصلناه عنه والحقناه باخوان له آتين .

ب ـ ورد الشطر الثاني في التعرف على « يا من اشاهده عني فاحسبه » . والتصحيح من مصباح الهداية ، والمقصود بالعين هنا الذات والجوهر ، والرؤية هنا نفسية داخلية .

(٢) المصدر :

الابيات ١ ، ٢ ، ٤ ، من جامع الانوار في تراجم الوجوه والاعيان المدفونين في بغداد وما يليها من البلدان ، تعريب وتأليف عيسى صفاء البندنيجي، ت ١٢٨٣ هـ/ ، مخطوط المتحف العراقي ببغداد رقم ٣٣٦ ، ص ٤٠٢ . البيت الثالث فقط من التعرف للكلاباذي (ص ٧٨) ثاني البيت السابق .

التحقيق :

أ ـ ورد البيت الثالث منفصلاً عن هذه المقطعة وقد وصلناه بها في مكانه المناسب .

ب ـ في تقديم هذه المقطعة نص البندنيجي على انه « سئل [ابو الحسين النوري] عن اداب المعرفة فقال : لا تصل الى اوائل مبتدأ حواشي المعرفة حتى تخوض الى الله ـ عز وجل ـ سبع [سبعة] بحار من نيران : بحراً بعد بحر ، فعسى بعد نلك [ان] تقع على اوائل بدء علم المعرفة ! ثم انشد ... » .

جـ ـ شرح الكلاباذي « السلوة » التي وردت في البيت الثالث بقوله : « معنى السلوة : الاياس ، يقول : كلما امسيت من حيث انا ردني عن الاياس ما منه من الفضل الذي بدا به » .

(٣) المصدر :

جامع الانوار للبندنيجي ص ٤٠٤ .

التحقيق :

أ ـ في تقديم هذين البيتين ذكر البندنيجي العبارة التالية : « وقال علي بن عبد الرحيم : رايت النوري قائماً تجاه الكعبة يحرك شفتيه وكانه يسال شيئاً ثم أنشا يقول » [البيتين] .

ب ـ وقف الشبلي موقفاً مثل هذا لكنه قال في نهول :

أبطحـاء مكـة ، هـذا الـذي
اراه عيـانـاً وهـذا انـا ؟

(ديوان ابي بكر الشبلي : جعفر بن يونس ت ٣٣٤ هـ/ ٩٤٦ م ، جمع وتحقيق وتقديم الدكتور كامل الشيبي ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ١٢٥) .

(٤) المصدر :

التعرف للكلاباذي ، ص ٧٨ .

التحقيق : انظر في المعاني المتصلة بهذه القطعة ما اوردنا في « ديوان ابي بكر الشبلي » (ص ١٤٣ ـ ١٤٥) .

يطول المدى بذكر تفصيلاتها ، لكن عناصرها تجتمع في هذه الابيات الخمسة بالفاظ تختلف هنا وهناك وان كان مضمونها واحداً ، وقد اعدنا تشكيلها من مصادرها على هذه الصورة وقد نسبت المصادر التي ندرجها بعد ـ هذه القطعة الى ابي الحسين النوري مرة والى ابي حمزة (محمد ابن ابراهيم الصوفي ، البغدادي ، ت ٢٦٩ هـ/) ثانية والى ابي بكر الشبلي ثالثة والى أمراة مجهولة اثناء حجها في مكة رابعة .

اما المصادر التي نسبت القطعة الى ابي الحسين النوري فهي :

(٥) المصدر :

التعرف للكلاباذي ، ص ١١٠ .

(٦) المصدر :

التعرف للكلاباذي ص ٨٧ .

التحقيق :

أ ـ يخيل الينا ان « المنى » في الشطر الاول من البيت الاول اولى من « المدى » بمكانها .

ب ـ وضع الكلاباذي هذه القطعة شاهداً على « المجاهدات والمعاملات » .

(٧) المصدر :

التعرف للكلاباذي ، ص ٥ .

(٨) المصدر :

التعرف للكلاباذي ، ص ٨٨ .

(٩) المصدر :

طبقات الصوفية للسلمي (ابي عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري ، ت ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م) ، تحقيق عبد المنعم شريبة ، مصر ١٩٥٣ ، ص ١٦٦ ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ابي بكر احمد بن علي ، ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) ، دمشق ١٩٤٥ ، ٥ / ١٣٣ ، جامع الانوار للبندنيجي ص ٤٠١ .

التحقيق :

ذكر السلمي في تقديم هذين البيتين ان صوفياً من اصدقاء النوري قال : « سمعت ابا الحسين النوري يقول : رايت غلاماً جميلًا ببغداد ؛ فنظرت اليه . ثم اردت ان اردد النظر فقلت له : تلبسون النعال الصرارة وتمشون في الطرقات ؟! قال : أحسنت ، أتجمش بالعلم ؟ ثم أنشا يقول » [البيتين] .

(١٠) المصدر :

التعرف ص ٧١ ، مصباح الهداية لعز الدين الكاشاني ، ص ٣٨٥ .

(١١) المصدر :

التعرف ، ص ٧٠ .

(١٢) المصدر :

طبقات الصوفية للانصاري (عبد الله الهروى ، ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ ـ ٨٩ م) ، ١٣٤١ هـ ش / ١٩٦٢ م ، افغانستان / ص ١٥٩ .

(١٣) المصدر :

التعرف للكلاباذي ، ص ٧٣ .

التحقيق :

أ ـ في البيت الاول لعل مرارات « تصحيف من مزادات » جمع مزادة وقد وردت « نجرعها » في الاصل على « تجرعها » ، وعند القنوع على « عن القنوع » ، و « ما » اضافة منا يستقيم بها الوزن .

ب ـ المعنى فيما يبدو كما يلي :

ان حال الرضا عند الصوفية شعور بالقناعة مما هم فيه في الظروف الصعبة التي يستدعي فيها الكدر ويكتفي بقليل من رعاية الله سبحانه لهم . وهذا الحال من الرضا ينتاب بعض الحضور في مجالس الذكر عند طريق الشهود وهو الاحساس الداخلي بالتواصل مع الحق ، وفي هذا الظرف لا يستكثر من الشهود وإنما يكتفي بهذا القليل رعاية كحال الرضا .

(١٤) المصدر :

جامع الانوار للبندنيجي، ص ٤٠٣ .

التحقيق :

قال النوري هذا البيت جواباً عن سؤال من ساله :

اذا كـان مني الكـل بـالكـل فـانيـاً
ابن لي : عن ايّ الـوجـوه اخبـر

ومؤدى السؤال والجواب يتمثل في ان السائل يستوضح ابا الحسين النوري عن حال الفناء الكامل ونطق الانسان اثناءه اهو صادر من الخلق ام الحق فكان جواب النوري ان الاحساس في هذا الظرف مخل بالفناء الكامل الذي سأل عنه ولهذا فهو واثق في الاوصاف متعلق بالانسانية دون الالهية فهو لهذا في اسر الحيرة والضيعة وحقه ان يكون في رحاب الهداية والثقة المطلقة .

(١٥) المصدر :

التعرف للكلاباذي ، ص ٦٧ .

التحقيق :

أ ـ نسبت هذه القطعة الى ابي الحسين النوري في التعرف رواية عن صوفي من معارفه قال : « كنا ليلة مع ابي الحسين النوري في مسجد الشونيزي ؛ فدخل علينا انسان فقال للنوري : ايها الشيخ ، غدا العيد ، ماذا انت لابسه ؟ فانشا يقول » (الابيات) .

ب ـ نسبت هذه القطعة ايضا الى الشبلي وابن عطاء وابي علي الروذباري وارسلت في مواضع اخرى ارسالًا والنوري اقدم من نسبت اليه وفاة (انظر ديوان ابي بكر الشبلي ، ص ١٠٩ ـ ١١٠) وارصد الاختلاف في الرواية هنا وهناك .

(١٦) المصدر :

الكشكول لبهاء الدين العاملي (محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني ، ت ١٠٣١ هـ / ١٦٢٢ - ٣ م) ، مصر ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م ، ص ٧٦ .

التحقيق :

ورد الشطر الاول من البيت الثاني في الاصل على « وليس الانفس » وربما كان تصحيفاً من « وليس الا نفساً » ، وما اثبتنا اقرب تناولًا .

(١٧) المصدر :

جامع الانوار للبندنيجي ، ص ٣٣٦ ، ٣٩٣ .

(١٨) المصدر :

تاريخ بغداد ٥ / ١٣٣ .

(١٩) المصدر :

طبقات الصوفية للسلمي ، ص ١٥٣ .

التحقيق :

ورد هذان البيتان في جامع الانوار للبندنيجي (ص ٤٠٤) وقبلهما عبارة « وانشد الفرغاني » . فكانهما لابي الحسين النوري فعلًا .

(٢٠) المصدر :

طبقات الصوفية للسلمي ص ١٦٧ ، تاريخ بغداد ٥ / ١٣٢ ، جامع الانوار للبندنيجي ص ٤٠١ .

التحقيق :

أ - واضح ان « اهلًا » في الشطر الثاني من البيت الاول قلقة نحوياً وحقها ان ترفع وقد التفت البندنيجي الى ذلك فروى الشطر الثاني على « فكنت للشكر اهلًا » .

ب - ذكر لمناسبة قول ابي الحسين النوري للبيتين انه « لحق ابا الحسين النوري علة والجنيد علة ؛ فالجنيد اخبر عن وجده والنوري كتم ، فقيل له : لِمَ لم تخبر كما اخبر صاحبك ؟ فقال : ما كنا لنبتلى ببلوى فنوقع عليها اسم الشكوى ثم انشا يقول « البيتين » .

جـ - ذكر في سياق هذه القصة ان الجنيد قال معلقاً : « ما كنا شاكين » ، ولكن اردنا ان نكشف عن عين القدرة فينا ثم بدأ يقول :

اجـــل مـــا منـــك يبـــدو
لانـــه عنـــك جـــلا
وانت ، يـــا أنس قلبي ،
اجـــل من ان تجـــلا

افـــنـــتـــنـــي عـــن جـــمـــعـــي
فـــكـــيـــف ارعـــى الـــمـــحـــلاء ؟

وللشبلي موقف مماثل لموقف ابي الحسين النوري اوردناه في ديوانه (ص ٩١) .

(٢١) المصدر :

التعرف للكلاباذي ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢٢) المصدر :

اللمع للسراج (ابي نصر عبد اللـه بن علي الطوسي ، ت ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م) ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور) مصر ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ ، ص ٣١٩ ، (الابيات ١ - ٦) وفيه في ص ٤٥٠ البيت السابع .

التحقيق :

أ - ذكر السراج ان ابا الحسين النوري قال هذه الابيات في (فقد حاله) وهي في نقد الصوفية ونمهم .

ب - واضح ان البيت الاخير خاتمة لسلسة النعي هذه وان ورد في مكان منقطعاً عنها .

جـ - هذه الابيات نسبت الى الحلاج ايضاً وهي اقرب الى روح ابي الحسين (ديوان الحلاج ، جمع وتحقيق ماسنيون ، باريس ١٩٥٥ ، ص ٢٤ - ٢٥) وقد جاءت القطعة هنا كاملة مع اضافة بيت ثامن نصه :

وخلفـــوا معشـــراً يجـــرون لبستهم
أعمى من البهم بـــل اعمى من النعم

(٢٣) المصدر :

طبقات الصوفية للسلمى ، ص ١٥٤ .

التحقيق :

في الاصل ورد الشطر الثاني من البيت الثالث على « لانك في قلبي كبير معظما » ولا تستقيم القراءة نحوياً الا بما اثبتنا .

(٢٤) المصدر :

طبقات الصوفية للانصارى ، ص ١٦٠ .

التحقيق :

الشطر الثاني من البيت الثاني وردت فيه عبارة « ما قد حل سرى » على « ما تحلله سرى » وبما اثبتنا يستقيم الوزن والمعنى .

(٢٥) المصدر :

وردت هذه المقطعة في جملة من المصادر على روايات مختلفة

اللمع للسراج، ص ٤١٦، ٤٤٦، حلية الاولياء لابي نعيم، برادنيني، ١٠ / ٢٥٠، طبقات الصوفية للانصاري، ص ٣١٣، مدخل السلوك الى منازل الملوك للغزالي، دمشق ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م، ص ٧٣، الكشكول لبهاء الدين العاملي ص ٧٦ واما تلك التي نسبتها الى ابي حمزة البغدادي فهي :

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١ / ٣٩٢ - ٣٩٣، الوافي بالوفيات للصفدي الجزء الاول، ط ٢، فيسبادن ص ٣٤٥ وكذا مراة الزمان لسبط ابن الجوزي (بنقل الصفدي) بهجة الاسرار للشطنوفي ص ١٣١ (نقلًا عن الخطيب البغدادي).

واما المصادر التي نسبتها الى الشبلي فهي مقصورة على كتاب مشارق انوار القلوب ومفاتح اسرار الغيوب لابن الدباغ (عبد الرحمن بن محمد القيرواني الانصاري، ت ٦٩٦ هـ/) تحقيق هلموت ريتر، بيروت ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م، ص ٩٣.

ونسبت هذه القطعة الى امراة مجهولة في الروض الفائق في المواعظ والرقائق للشيخ الحريفيش (ابي مدين شعيب بن عبد العزيز القفصي المعزي، ت ٥٩٧ هـ/) مصر ١٣١٦ هـ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (مصر ١٣٢٤ هـ/ ، ٢ / ٣٥.

التحقيق :

أ - اذا اخذنا بفكرة التوثيق فان اقدم المؤرخين للتصوف نسبوها الى ابي الحسين النوري، والخطيب البغدادي، الذي نسبها الى ابي حمزة الصوفي، متاخر عمن رووها للنوري واخذ منهم، اما الشبلي فمتاخر عن الصوفيين والنسبة اليه ناقلة مردودة. تبقى النسبة الى المراة المجهولة التي يحدث عنها الجنيد البغدادي، فاذا صدق الخبر كانت هذه المقطعة من تراث التصوف الذي لا يعرف له قائل وتمثل به الصوفية كل في المناسبة التي عرضت له. وتبقى القطعة منسوبة الى النوري في هذا الموضوع الى ان يتضح شيء اخر.

ب - ذكر ابو نعيم الاصفهاني عن صوفيين انه « قدم ابو الحسين النوري - وكان صوفياً متكلماً - في بعض قدماته من مكة غير اوان الحج ؛ فخرجنا فاستقبلناه فوق (على مرحلة من) بغداد. فراينا في وجهه تغيراً ؛ فقلت : يا ابا الحسين، تغير الاسرار من تغير الابشار (!) فقال : لا، ان الحق تحمل كل كلٍ وثقلٍ عن قلوب اوليائه، ثم انشد في ... ».

وجاء في مدخل السلوك انه « خرج ابو الحسين النوري من البادية ؛ فلم يبق معه الا خاطره ؛ فعرض له رجل فقال : هل يلحق الاسرار بما (ما) يلحق الصفات ؟ قال : لا. قال : لِمَ ؟ قال : اعلم ان الله اقبل على الاسرار فحملها واعرض عن الصفات فمحقها وابتلاها، ثم انشا يقول ... ».

وروى البغدادي مثل هذا عن ابي حمزة البغدادي، وذلك امر يمكن وروده على الشبلي ايضا، والمدار كله حول صلاح هذه المقطعة لهذا الموقف.

(٢٦) المصدر :

جامع الانوار للبندنيجي ص ٤٠٤.

التحقيق :

أ - ذكر البندنيجي ان هذه المقطعة تنسب لسمنون بن حمزة المحب (ت بعد ٢٨٩ هـ/ ٩١٠ - ١١ م) ايضا.

ب - في الشطر الثاني من البيت الثاني ورد لفظ « السؤل » على السؤال وبما اثبتنا يستقيم الوزن والمعنى ورد لفظ « اختبار » على اختيار بالياء في البيت الثالث وصحته ما اثبتنا.

جـ - في معرض تقديم المقطعة ذكر البندنيجي ان ابا الحسين النوري قال : « اذا امتزجت نار التعظيم مع نور الهيبة في السر، هاجت ريح المحبة من حجب العطف على النار والنور ؛ فيظهر فيه الاشتياق وتتلاشى البشرية فيتولد من ذلك المشاهدة، وانشد لنفسه » (المقطعة).

(٢٧) المصدر :

إحياء علوم الدين للغزالي (محمد بن محمد الطوسي، ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١ م) طبع المطبعة التجارية الكبرى بلا تاريخ، ٢ / ٢٩٩.

التحقيق :

ورد البيتان في محاضرة الابرار لابن عربي (محمد بن علي الحاتمي الانـدلسي، ت ٦٣٨ هـ/ ١٢٤١ م) مصر ١٣٤٤ هـ/ ١٩٠٦ م، ٢ / ١٦٧، منسوبين الى ابي بكر الشبلي، ولا يستقيم ذلك لسبق النوري الشبلي الى الدار الاخرة باحدى واربعين سنة، وقد جاء اللبس من طرق كلا الصوفيين لموضوع الاعياد واللبسة فيها والاحتفال وما الى ذلك.

(٢٨) المصدر :

الابيات الثلاثة الاولى من اللمع للسراج، ص ٣١٤، ٤٩٤، والقطعة كلها من كتاب الزهرة للظاهري (ابي بكر محمد بن داود الاصفهاني، ت ٢٩٧ هـ/ ٩٠٩ م) تحقيق د. لويس نيكل البوهيمي، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م، ص ٣٠٩ دون نسبة.

التحقيق :

أ - في البيت الاول ورد لفظ « لعمري » على لعمرك في الزهرة. ووردت « بنموانا » في اللمع (ص ١٩٤) على سواء وصحته فيما اثبتنا.

ب - في البيت الثاني جاء لفظ « لاحظتها » على لاحظت في اللمع (ص ٣١٤).

جـ - في البيت الثالث جاء لفظ « فادى » على فادنى في الزهرة، و « ماتكن » على ما تجن فيه ايضا.

ء - البيت الرابع ورد في الزهرة فقط.

هـ - جاء الخطاب في اللمع « ص ٤٩٤ » للمذكر وفيه

« ص ٣١٤ » والزهرة للمؤنث وهو الذي اخترناه .

و ـ ذكر السراج في اللمع (ص ٣١٤) ان هذه المقطعة رسالة بعث بها ابو الحسين النوري الى ابي سعيد الخراز .

ز ـ علق السراج على هذه المقطعة بقوله : « وفيه اشارات غريبة ومعان عجيبة يشير (بها) الى سره الذي هو مخصوص به وينطق عن وجده الذي لا يضيف ذلك الى صفته ولا ينسبه الى مكان ليس ذلك من لغته » .

(٢٩) المصدر :

حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني (احمد بن عبد الله ، ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م) ، مصر ١٣٥١ ـ ٧ هـ / ١٩٣٢ ـ ٨ م ، ١٠ / ٢٥٤ .

التحقيق :

أ ـ في البيت الخامس وردت « بثه » على بته بالتاء المثناة وصحتها ما اثبتنا .

ب ـ في البيت السادس جاء الشطر الثاني وفيه « صوبها » مسبوقة بمن ولا يستقيم بها الوزن .

جـ ـ في البيت السابع « امتطى » قلقة .

ء ـ في البيت الثامن الشطر الثاني فيه زيادة يختل بها الوزن .

و ـ في هذا المجال قال الجنيد والله ما رميت بسري الى احدهما لافضله عنى الاخر الا جذبني اليه وقد ارجات أمرهما الى الله .

(٣٠) المصدر :

حلية الاولياء ١٠ / ٢٥٣ وانظر ديوان الحلاج تحقيق ماسينيون ، الملحق الثاني : اشعار تمثل بها الحلاج لشعراء سابقين ص ١١٦ ـ ١١٧ .

التحقيق :

أ ـ نقل ماسينيون البيت الثالث هكذا :

فطـــــل يلحظني ســــري لالحظــــــه
والحق يلحظني الا اخليــــــــــه

ب ـ وردت الافعال « يغني » و « يغنيني » و « يغنيه » في الاصل بالغين والتصحيح من نقول ماسينيون .

جـ ـ جاء البيت الرابع عند ماسينيون هكذا :

واقبـــل الـــوجـــد يفنى الكـــل من صفتي
واقبـــل الحق يخفيني وأبـــــديــــــه

(٣١) المصدر :

اللمع للسراج ص ٣٧٩ (المقطعة عدا البيت الثاني والسادس) وجاءت ناقصة السادس في احياء العلوم للغزالي ٣ / ٢٩٩ ، حياة الحيوان للدميري (كمال الدين محمد بن عيسى ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ ـ ٦ م ، مصر ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م ، الكشكول لبهاء الدين العاملي ص ٣٥٩ ونسبها الى الشبلي الجامي (عبد الرحمن بن احمد ، ت ٨٩٨ هـ / ١٥٠١ م في نفحات الانس الكنو ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م ، ص ١٧٥ والسيد جعفر البيت العلوي ، في مواسم الادب وآثار العجم والعرب ، مصر ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م ، ٢ / ٧٢ ، والدكتور زكي مبارك في مدامع العشاق ، ط ٢ ، مصر ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٣ ، ص ٣٧ ـ ٣٨ ، (وجاءت هنا كاملة) ونسبها عبد الله الانصاري الى مجنون ليلى بنقل الجامي عنه في نفحات الانس ، ص ١٧٦ ونسبها علي الجارم الى نفسه بنقل الدكتور زكي مبارك في كتابه المذكور (ص ٣٨) .

التحقيق :

أ ـ يبدو ان ابا الحسين النوري مستشهد هنا وليس ناظماً وقد ذكر من نقلنا هذه المقطعة عنهم ان ابا الحسين النوري كان مع جماعة من المشايخ في دعوة « فجرت بينهم مسالة في العلم ، وابي الحسين ساكت ، ثم رفع راسه فانشدهم هذه الابيات وذكر البندنيجي ان الجنيد البغدادي سال ابا الحسين النوري : ما مقامك في السماع ؟ فاجابه هذا : الرمز اليه بالاشارة دون الافصاح والكناية دون الايضاح ، ثم وثب وصفق بيديه فانشا يقول ... » .

وكانت النتيجة انه « ما بقي احد الا قام وتواجد لما انشد النوري هذه الابيات كما ذكر ذلك السراج .

ب ـ نقلنا هذه المقطعة في الملحق الخاص بالاشعار التي نسبت الى الشبلي وذلك ديوانه (ص ١٥٢ ـ ٥٣) وذكرنا هناك اشعاراً تقليدية عرضت لهذا الموضوع ونذكر هنا غيرها استكمالاً لما بدأناه .

١ ـ فمن اجمل الاشعار في هذا المجال قول ابي كبير الهذلي (عامر بن الحليس ، ممن ادرك النبي (ص) :

الا يـــا حمـــام الايـــك ، إلفـــك حـــاضـــر
وغصنـــــك ميـــــاد ففيم تنـــــوح
افق لا تنـــــح من غيــــر بين فـــإنني
بكيت زمـــــانـــــاً والفـــؤاد صحيـــح
ولـــوعـــــاً فشطت غـــريـــــة دار زينب
فهـــا أنـــا ابكي والفـــؤاد قـــريـــح (٣٢)

(الامالي لابي علي القالي ١ / ١٣٣ نيل الاماني في شرح التهاني لابي علي اليوسي : الحسن بن مسعود ، ت ١١٠٢ / في شرح قصيدته الدالية التي قالها في ابي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي ، ت ١٠٨٢ هـ / ، مصر ١٣٣٩ ، (ص ٥٩ ـ ٦٠) ونسبت هنا الى ابي المنهال عوف بن محلم الخزاعي ، ت في حدود ٢٢٠ هـ / وهي لابي كبير كما في معاهد التنصيص للعباسي (عبد الرحمن بن احمد ، ت ٩٦٣ هـ / ١٥٦٩ م) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مصر ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ ـ ٨ م ، ١ / ٣٧٥ ـ ٦ ، وهذا هو راي المحقق ايضا الذي ضمنه هامشاً في هذا الموضوع .

٢ ـ وقد انتقل الالمام بالحمام الى الفلسفة البحتة والاشراقية وكنّوا عن النفس الانسانية ومن الامثلة على هذا قصيدة ابن سينا التي

أولها :

هبطت إليـــك من المحـــل الارفـــع
حسنـــــاء ذات تـــدلـــل وتمنـــع

ومنها قوله :

وغـــدت تفــرد فــوق نروة شـاهق
والعلم يـــرفـــع كـــل من لم يـــرفـــع
فـــلاي شيء اهبطت من شـــاهق
ســـام الى قعـــر الحضيض الاوضـــع
فكـــانهـــا بـــرق تـــالق بـــالحمى
ثم انطـــوى فكـــانـــه لم يلمـــع

(وفيات الاعيان لابن خلكان ابي العباس احمد بن محمد بن ابراهيم ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٣ م) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٤٨ ، ١ / ٤٢٢ - ٣ .

ومنها مقطعة للسهر وردي المقتول (يحيى بن حبش بن اميرك ت ٥٨٩ هـ/) التي جارى ابن سينا في هذا التشبيه فقال :

خلعت هيـــاكلهـــا بجـــرعـــاء والحمى
وصبت لمغنـــاهـــا القـــديم تشـــوقـــا
وتلفتت نحـــو الـــديـــار فشـــاقهـــا
ربـــع عفت اطـــلالـــه فتمـــزقـــا
وقفت تســـائلـــه فـــرد جـــوابهـــا
رجـــع الصـــدى ان لا سبيـــل الى اللقـــا
فكـــانمـــا بـــرق تـــالق بـــالحمى
ثم انطـــوى فكـــانـــه مـــا ابـــرقـــا

(وفيات الاعيان ٥ / ٣١٤) .

جـ - لوحظ في مقطعة النوري هذه ان ايضا وهي كلمة غير شعرية استقرت فيها استقراراً طبيعياً غير قلق (البدعة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى امين ، ط ٨ ، مصر ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م ، ص ٩) وقد ورد هذا اللفظ في غير موضع شعري ومنه قول بعضهم :

محمـــد ســـاد النـــاس كهـــلا ويـــافعـــاً
وســـاد على الامـــلاك ايضـــا محمـــد
محمـــد كـــل الحسن من بعض حسنـــه
ويـــا حسن كـــل الحسن الا محمـــد
محمـــد مـــا احلى شمـــائلـــه ومـــا
الـــذ حـــديثـــاً راح فيـــه محمـــد

الحاشية الكبرى للسيد محمد الدمنهوري ، ت بعد ١٢٣٠ هـ/ ، مصر ١٣٤٤ هـ/ ، ص ١٠٣ .

(٣٢) المصدر :

وردت هذه المقطعة في جملة من المصادر على روايات مختلفة يطول المدى بذكر تفصيلاتها لكن عناصرها تجتمع في هذه الابيات الخمسة بالفاظ تختلف هنا وهناك وان كان مضمونها واحداً ، وقد جمعناها هكذا باجتهادنا .

اما المصادر فهي اللمع للسراج ص ٤١٦ ، ٤٤٦ ، حلية الاولياء لابي نعيم براوايتين ، ١٠ / ٢٥٠ ، مدخل السلوك الى منازل الملوك للغزالي ، دمشق ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م ، ص ٧٣ ، مشارق انوار القلوب ومفاتح اسرار الغيوب لابن الدباغ (عبد الرحمن بن محمد القيرواني الانصاري ت ٦٩٦ هـ/ ، تحقيق هلموت ريتر ، بيروت ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م ، ص ٩٣ منسوبة الى الشبلي،الوافي بالوفيات للصفدي (الجزء الاول) طبع فيسبادن منسوبة إلى أبي حمزة محمد بن ابراهيم الصوفي البغدادي ت ٢٦٩ هـ/ ، ص ٣٤٥ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ( ) مصر ١٣٢٤ هـ/ ٢ / ٣٥ منسوبة الى جارية مجهولة وبادءه بقولها :

لـــــولا التقى لم تـــــرني
اهجـــــر طيب الـــــوسن

الكشكول لبهاء الدين العاملي ، ص ٧٦ منسوبة الى النوري ايضا .

التحقيق :

ذكر ابو نعيم الاصفهاني عن صوفيين انه « قدم ابو الحسين النوري - وكان صوفياً متكلماً - في بعض قدماته من مكة في غير اوان الحج ؛ فخرجنا فاستقبلناه فوق (قيل) بغداد . فراينا في وجهه تغيراً ؛ فقلت : يا ابا الحسين : تغير الاسرار من تغير الابشار (!) فقال : لا ، ان الحق تحمل كل كلٍ وثقلٍ عن قلوب اوليائه ثم انشدني في ... » .

وجاء في مدخل السلوك انه « خرج ابو الحسين النوري من البادية ؛ فلم يبق معه الا خاطره ، فعرض له رجل فقال : هو يلحق الاسرار بما يلحق الصفات ؟ قال : لا . قال : لم ؟ قال : اعلم ان الله اقبل على الاسرار فحملها واعرض عن الصفات فحمقها وابتلاها ، ثم انشا يقول .... » .

وهكذا جرت الاخبار . اما الذي نسبها الى ابي حمزة البغدادي باعتبارها قيلت لمناسبة عودته اشعث اغبر مصفراً من الحج ، فهو الصفدي وهو متأخر وربما خلط بين الصوفيين في هذا الخبر . ونسبتها الى الشبلي - فيما نرى - ابعد من نسبتها الى ابي حمزة البغدادي . والظاهر ان هذا نفس ابي الحسين النوري فعلًا .

والمصادر التي ذكرها جلال الدين الدواني في رسالته تؤكد هذا الذي ذهبت اليه ، فقد سجل أسماء ثمانية مصنفات ، ستة منها من كتب التفسير والبلاغة . وهذه المصنفات هي الآتي ذكرها بحسب تسلسل ورودها في الرسالة :

- شرح صحيح البخاري ، للكرماني (ت ٧٨٦هـ)
- مفتاح العلوم ، للسكاكي (ت ٦٢٦هـ)
- شرح مفتاح العلوم ، للشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)
- حاشية على الكشاف ، لقطب الدين الرازي (ت ٧٦٦ هـ)
- حاشية على الكشاف ، للشريف الجرجاني أيضاً
- بعض شروح القصيدة المسماة بالبردة(؟)
- حاشية على تفسير الكشاف ، لابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ)
- الكشاف ، للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) .

لقد اراد الدواني أن يجمع ما تناثر من الآراء في (الفاء الفصيحة) ويوائم بينهما فالف رسالته المختصرة .

وهي على اختصارها تضم غير قليل من اقوال العلماء في سبب تسميتها ، واحوالها ، ومواقعها . وفيها نصوص مفيدة من كلامهم ، معزوةً الى كتبهم تارة ، وغير منسوبة الى كتاب تارة اخرى .

ومن خلال هذه النصوص والارآء استطيع أن أسجل الضوابط المتعلقة بها على وفق الآتي :

اولاً - الفاء الفصيحة حرف عطف يفيد التعقيب حينما يكون المعطوف عليه مقدراً كقوله تعالى :

﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ﴾ . أي : فضرب فانفجرت .

ثانيا - الفاء الفصيحة على رأي الأكثرين هي التي تدل على معطوف عليه محذوف مع كونه سبباً للمعطوف ، أو على شرط محذوف .

ثالثاً - سبب تسميتها « فصيحة » لم يذكره الزمخشري ولا السكاكي . واختلف اللاحقون فيه على وجوه أشهرها مايأتي :

١ - لأنها تفصح عن محذوف . أي تدل عليه .

٢ - لأنها انما يعرفها الفصيح ويميزها من غيرها فسميت بذلك من باب المجاز .

٣ - جاءت هذه التسمية وصفاً لها باسم صاحبها ، كقولك : نهارك صائم ، وليلك قائم . وذلك لأنّ المتكلم مالم يكن فصيحاً لم يوردها في كلامه ، لأنّ غير البليغ لا يعرف موضع إيرادها .

إنّ هذه الرسالة هي أوّل بحث في الفاء الفصيحة ، يجمع فيه المؤلف آراء لمؤلفين معروفين ومغمورين ، ويناقشها .

وهي على ما تؤديه من نفع يقدره المختصون بلغة الضاد تفتقر إلى عدد أكثر مماورد فيها من النصوص الفصيحة ، والشواهد العربية التي تضم في اثنائها نماذج من هذا النوع من أنواع الفاء .

كما أنّ القارىء إذا أنعم النظر فيها يخال أنّها مستلة من كتاب آخر ، وذلك لخلوها من المقدمة ، ولتضمُّن قسم من عباراتها الفاظاً تشير الى معطوف عليه ، أو مشار اليه لم تذكره الرسالة . فهي تبدأ بهذه العبارة : (وأمّا الفاء الفصيحة فهي فاء التعقيب أيضاً) . وفيها بعد ذلك : (وقال الكاشي ثمةَ تابعاً للعلامة قطب الدين الشيرازي) ، وبعد نقل رأيه يقول المؤلف : (إلا أنه قد زيّفه العلامة ناصر الدين الترمذي ثمةَ ...) . فاستعمال (وأما) و (ثمة) و (أيضاً) يُفهم منه ماذكرت .

ومن ذلك لفظ (المصنف) المكرر في ما نقله من اقلام الترمذي والتفتازاني ، ونبهتُ عليه في الحاشيتين (٣٦) و (٤٥) .

- ٢ -

اما مؤلف الرسالة فهو [١٢] محمد بن اسعد جلال الدين الصديقي الشافعي المشهور بـ (الدواني) نسبة الى قرية (دوان) من قرى (كازرون) في مشرق الدولة الاسلامية .

ولد في حدود سنة ثلاثين وثمان مئة للهجرة في (دوان) . وسكن شيراز ، وتتلمذ على شيوخها هناك ، وتنقل في تلك النواحي ، وولي القضاء على هذه الديار .

أتقن جملة من علوم اللغة والشريعة ، وتقدم في العلوم العقلية ، وتفوق بها ، واشتهر بين أبناء عصره فاخذ عنه الناس ، وارتحل اليه الطالبون من بلاد الروم ومن خراسان وماوراء النهر . وأحبه العلماء واحترموه وتكاثر عليه التلامذة . قال معاصره شمس الدين السخاوي : (وسمعت الثناء عليه من جماعة ممن أخذ عني ، واستقربه السلطان يعقوب في القضاء ، وصنف كثيراً ... مع فصاحة وبلاغة ، وصلاح وتواضع) . وقال الشوكاني : (وله شهرة كبيرة ، وحديث عظيم . وتكاثر تلامذته ، وكان من ادبهم أنه اذا تكلم نكسوا رؤوسهم تادباً . ولم يتكلم أحد منهم بشيء) .

توفي جلال الدين ، على الأرجح ، سنة ثمانٍ وعشرين وتسع مئة للهجرة بعدما ترك مصنفات في علوم شتى ، انتفع بها الناس ، ومازال اكثرها مخطوطاً . ومما طبع من مصنفاته الآتي :

- اثبات الواجب .
- حاشية على شرح القوشجي لتجريد الكلام .
- أفعال العباد .
- حاشية على تحرير القواعد المنطقية ، لقطب الدين الرازي .
- شرح العقائد ، لعضد الدين الايجي .

- ٣ -

اعتمد في اخراج الرسالة على مخطوطتين لم أقف على غيرهما في مكتبات العالم ، وهما :

١ - المخطوطة (م) :

وهي المحفوظة في مكتبة (مِلّت) في استانبول بتركيا ضمن مجموع رقمه (٤٣٥٣) وقياسه (١٠ × ١٧ سم) وهو